الفصل الثالث

أخلاقيات المهنة في أنظمة بعض الجمعيات العلمية والتطبيقية

المبحث الأول: أخلاقيات مهنة الهندسة:

مهنة الهندسة من المهن التاريخية التي رافقت حياة بني آدم منذ القدم، وبناء الكعبة المشرفة الذي قيل إن الملائكة شاركت فيه، ورفع إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام بعد ذلك قواعد الكعبة دليل على هذه العراقة في هذه المهنة، ويذكر لنا القرآن الكريم بعض الأبنية كقوله سبحانه في قصة موسى عليه السلام: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّيٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴾ [غافر: ٣٦]، ويبين سبحانه أن هذا الصرح من الطين: ﴿ فَأَوْقِدْ لِي يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّي صَرْحًا لَّعَلِّيٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ [القصص: ٣٨] ويصف القرآن الأبنية الفاخرة: ﴿ وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ * وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَٰبًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ * وَزُخْرُفًا ۚ وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَٱلْءَاخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [الزخرف: ٣٣-٣٥]

ويذكر لنا القرآن الكريم البناء العجيب الذي بناه ذو القرنين وهو سد يأجوج ومأجوج شديد المتانة والقوة: ﴿ ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُوا۟ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِيٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا * فَمَا ٱسْطَٰعُوٓا۟ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ لَهُۥ نَقْبًا ﴾ [الكهف:٩٦-٩٧]

ونبينا ﷺ شارك في بناء الكعبة قبل نبوَّته في القصة المشهورة في السيرة النبوية[١]، وكان في عهده ﷺ من يقوم بالبناء، فأقرهم على ذلك[٢].

ولم تزل مهنة الهندسة من المهن التي تمس حياة كل إنسان، لحاجة الناس لها في مساكنهم وطرقهم ومكاتبهم، ونظراً للتطور الذي تشهده هذه المهنة في حياة الإنسان المعاصر، فقد تجاوبت المملكة العربية السعودية مع هذا التطور فصدر قرار معالي وزير التجارة رقم (٢٦٤)

(١) ابن هشام/السيرة النبوية (١/١٧٨).

(٢) علي الخزاعي التلمساني/تخريج الدلالات السمعية (٧٣٥).

بتاريخ ١٤٠٢/٩/١٦ هـ، بتشكيل اللجنة الاستشارية الهندسية، وفي ١٣ رمضان ١٤٢٣هـ صدرت موافقة مجلس الوزراء الموقر على إقرار مشروع الهيئة السعودية للمهندسين.

وكان من إنجازات هذه الهيئة وضع قواعد عامة لآداب ممارسة مهنة الهندسة، وهي قواعد مهمة جديرة بالتطبيق؛ لأنها تتفق مع الآداب الإسلامية، وتشمل كل ما يهم المهندس في عمله، وفي مقدمة هذه القواعد قالت الهيئة:

(ترتبط مهنة الهندسة والخدمات التي يقدمها المهندسون بشكل كبير بالتقدم الحضاري، وحماية وتسخير الموارد الطبيعية لخدمة المجتمع، والرفع من مستوى معيشته، لذا يصبح من الضروري أن يقدم المهندسون خدماتهم المهنية وفقاً لقواعد ومعايير أخلاقية تتوخى الصدق والأمانة والإتقان.

وحرصاً من الهيئة السعودية للمهندسين، التي تهدف إلى النهوض بمهنة الهندسة وكل ما من شأنه تطوير ورفع مستوى هذه المهنة والعاملين فيها بموجب نظامها الصادر بالمرسوم الملكي رقم م/٣٦ في تاريخ ١٤٢٣/٩/٢٦ هـ ورؤيتها المتمثلة في «الرقي بمهنة الهندسة وتمكين المهندسين والمؤسسات الهندسية من الوصول إلى الحلول المثلى، ورفع مستوى الأداء وتشجيع الإبداع والابتكار لتحقيق مكانة مرموقة دولياً»، فقد رأت أن تضع هذه القواعد بين أيدي المهندسين والفنيين في مختلف مواقعهم لتكون بمثابة قواعد مهنية لأصول التعامل المهني السليم فيما بينهم ومع الآخرين لخدمة المجتمع.

ولما كان العدل والنزاهة والصدق والأمانة والوفاء بالعهد وحفظ السر والتناصح وإتقان العمل والابتعاد عن إيذاء الغير في مجملها هي مكارم الأخلاق والقيم التي يدعو إليها الإسلام ويحث على التمسك بها والالتزام بتطبيقها في الحياة اليومية، فقد راعت الهيئة السعودية للمهندسين فيما أعدته من قواعد وأخلاقيات ممارسة المهنة هذه الأسس والمبادئ والقيم، وتتوقع من كافة المهندسين الالتزام بها في جميع ممارساتهم المهنية وفق ميثاق المهندس الموقع عليه بهذا الشأن).

وميثاق المهندس المشار إليه هو: «بما أني أحد المسجلين في الهيئة السعودية للمهندسين، فإنني أتعهد بموجب هذا الميثاق أن أحترم اللوائح والأنظمة الخاصة بممارسة مهنة الهندسة

وفق الأهداف السامية التي أنشئت من أجلها الهيئة السعودية للمهندسين، بموجب نظامها الصادر بالمرسوم الملكي رقم م/٣٦ وتاريخ ١٤٢٣/٩/٢٦ هـ، ورؤية الهيئة التي تنص على الرقي بمهنة الهندسة وتمكين المهندسين والمؤسسات الهندسية من الوصول إلى الحلول المُثلى ورفع مستوى الأداء وتشجيع الإبداع والابتكار لتحقيق مكانة مرموقة دولياً، وتعزيز مكانة وكرامة وقيم مهنة الهندسة بما ينعكس على خدمة ورقي ورفاهية المجتمع المبنية على القواعد والأخلاقيات والالتزامات الآتية:

١- أن أبني سمعتي المهنية على كفاءة وجدارة الخدمات التي أقدمها، كما أبتعد عن منافسة الآخرين بشكل غير عادل.

٢- أن أسعى لتنمية قدراتي وكفاءتي الشخصية، كما أوفر فرص التطوير المهني للمهندسين والفنيين العاملين تحت إشرافي.

٣- أن ألتزم بتعزيز القيم والمبادئ الأساسية لأخلاقيات مهنة الهندسة وترسيخها في المجتمع مع التزامي في تصرفاتي بالأساليب التي تدعم وتعزز مكانة وأمانة وكرامة المهنة محلياً وعالمياً.

٤- أن أتصرف في المسائل المهنية كوكيل حريص لصاحب العمل، وأن أتجنب أي تعارض في المصالح.

٥- أن أحرص عند تقديم أفكاري وآرائي وقراراتي، أن تكون بطريقة موضوعية وصادقة وفي مجال تخصصي وخبراتي المهنية.

٦- أن أسعى عند تقديم خدماتي المهنية إلى الأخذ بأعلى معايير السلامة وحماية البيئة تحقيقاً للمصلحة العامة للفرد والمجتمع.

أما قواعد وأخلاقيات ممارسة مهنة الهندسة فهي:

القاعدة الأولى: يبني المهندس سمعته المهنية على كفاءة وجدارة الخدمات التي يقدمها، كما يبتعد عن منافسة الآخرين بشكل غير عادل.

القاعدة الثانية: يسعى المهندس لتنمية قدراته وكفاءته الشخصية، كما يوفر فرص التطوير المهني للمهندسين والفنيين العاملين تحت إشرافه.

القاعدة الثالثة: يلتزم المهندس بتعزيز القيم والمبادئ الأساسية لأخلاقيات مهنة الهندسة وترسيخها في المجتمع مع التزامه في تصرفاته بالأساليب التي تدعم وتعزز مكانة وأمانة وكرامة المهنة محلياً وعالمياً.

القاعدة الرابعة: يتصرف المهندس في المسائل المهنية كوكيل حريص لصاحب العمل، وعليه أن يتجنب أي تعارض في المصالح.

القاعدة الخامسة: يحرص المهندس عند تقديم أفكاره وآراءه وقراراته أن تكون بطريقة موضوعية وصادقة وفي مجال تخصصه وخبراته المهنية.

القاعدة السادسة: يسعى المهندس عند تقديم خدماته المهنية إلى الأخذ بأعلى معايير السلامة وحماية البيئة تحقيقاً للمصلحة العامة للفرد والمجتمع(١).

المبحث الثاني: أخلاقيات المهنة الطبية:

مهنة الطب من المهن الضرورية في المجتمع والتي أقرها الإسلام، فقد جاء في كتاب الله أن عيسى عليه السلام كان يقوم بشيءٍ من هذه المهنة، فقال سبحانه من قول عيسى عليه السلام: ﴿وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ٤٩]، وكان نبينا ﷺ يقوم بشيءٍ من هذه المهمة، فيصف الأدوية المناسبة لبعض الأمراض(٢)، ويقوم بعلاج بعض المرضى(٣)، وكان الأطباء موجودون في عهد النبي ﷺ، منهم من كان في المدينة النبوية، ومنهم من كان خارجها(٤).

---

(١) هناك تفصيلٌ دقيق وجميل لهذه القواعد يرجع إليه في موقع الهيئة السعودية للمهندسين: http://www.saudieng.org/arab على شبكة الإنترنت.

(٢) من أمثلته: حديث أنس أن النبي ﷺ وصف ألبان الإبل وأبوالها لمن شكى من حمى المدينة (البخاري: الطب/الدواء بألبان الإبل - ٥٣٦١) وحديث «الحبة السوداء شفاء من كل داء إلا السام» (البخاري: الطب/الحبة السوداء - ٥٣٦٣) وحديث «الكمأة من المن وماؤها شفاء للعين» (البخاري: الطب/المن شفاء للعين - ٥٣٨١).

(٣) من أمثلته: حديث أبي سعيد في معالجة النبي ﷺ بالعسل من شكى له بطنه (البخاري: الطب/الدواء بالعسل - ٥٣٦٠) وحديث أم المؤمنين عائشة في رقية النبي ﷺ لأهله. (البخاري: الطب/رقية النبي ﷺ - ٥٤١١).

(٤) علي الخزاعي التلمساني/تخريج الدلالات السمعية (٦٧٧).

والمجتمعات البشرية لا تستغني عن هذه المهنة بحال، لذا فإن من الضروري أن يكون لها أخلاقيات خاصة، لحساسية دور الطبيب في المجتمع، وقد كتب الطبيب المسلم أبو بكر محمد بن زكريا الرازي لبعض تلاميذه رسالته المشهورة «أخلاق الطبيب».

ومما جاء فيها:

- أول ما يجب عليك صيانة النفس عن الاشتغال باللهو والطرب، والمواظبة على تصفح الكتب.
- واعلم يا بني أنه ينبغي للطبيب أن يكون رفيقاً بالناس حافظاً لغيبهم، كتوماً لأسرارهم.
- وقد قال الحكيم جالينوس في وصيته للمتعلمين ولعمري لقد صدق فيما قال-: على الطبيب أن يكون مخلصاً لله، وأن يغض طرفه عن النسوة ذوات الحسن والجمال، وأن يتجنب لمس شيء من أبدانهن.. وينبغي للطبيب أن يعالج الفقراء كما يعالج الأغنياء.
- ويتكل الطبيب في علاجه على الله تعالى، ويتوقع البرء منه، ولا يحسب قوته وعمله، ويعتمد في كل أموره عليه... إلى غير ذلك من الحكم والآداب والأخلاق المهنية[1].

ومن النماذج الرائعة لأخلاقيات المهنة الطبية ما جاء في الدستور الإسلامي للمهن الطبية والذي صدر عن (المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية (Islamic Organization for Medical Sciences (IOMS وفيه[2]:

---

(١) أخلاق الطبيب للرازي/تحقيق: د. عبداللطيف محمد العبد - مكتبة دار التراث/١٣٩٧ هـ.

(٢) انظر الدستور في موقع المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية على شبكة الإنترنت: http://islamset.com/arabic/aethics/dastor/mhn.html، وهذه أبوابه:

- الباب الأول - في التعريف بالمهنة الطبية
- الباب الثاني - صفة الطبيب
- الباب الثالث - علاقة الطبيب بالطبيب
- الباب الرابع - صلة الطبيب بالمريض
- الباب الخامس - المحافظة على سر المهنة
- الباب السادس - واجب الطبيب بالحرب
- الباب السابع - في حرمة الحياة الإنسانية
- الباب الثامن - في مسؤولية الطبيب
- الباب التاسع - الطبيب والمجتمع
- الباب العاشر - الطبيب إزاء البحث العلمي ومعطياته الحديثة
- الباب الحادي عشر - في التعليم الطبي
- الباب الثاني عشر - قسم الطبيب

أولاً: علاقة الطبيب بالطبيب:

الطبيب أخ لكل طبيب، وزميل في رسالة نبيلة وعمل مجيد، والأطباء متكافلون فيما بينهم على رعاية صحة الأمة، يتكاملون بتنوع اختصاصاتهم الطبية في شتى فروع الطب، ويعمل فريق في الوقاية وآخر في العلاج، ويعمل البعض في مرافق الدولة والبعض في القطاع الخاص، ملتزمين جميعاً بآداب المهنة الطبية وتكاليفها.

والأطباء فرقة من الأمة عليها أن تتخذ فيما بينها من النظم والوسائل والأسباب والأعراف ما يمكن لأفرادها جماعة وعلى انفراد أن يقوموا برسالتهم في الأمة على خير وجه.

والطبيب أخو الطبيب يوقر حضرته ويحفظ غيبته، ويقدم له العون والنصح والمشورة كلما دعت الحاجة، ولا يأكل لحمه، ولا يتتبع عورته، ولا يكشف سوأته، ولا يمسه منه ما يكره إلا حيثما يقضى شرع الله بأداء الشهادة أو منع الجريمة في حدود ما نص عليه الشارع.

والطبيب إلى الطبيب جمع وإضافة. وتعاون على صالح المريض.. وليس منافسة وانتقاصاً..

ومن واجب الطبيب أن يكون سخياً بحصيلة علمه وخبرته وتجربته على من هم دونه في ذلك من زملائه، فلا يضن بتعليم أو تدريب؛ لأن كاتم العلم ملعون... ولأن في ذلك وفاءً بحق الزميل وحق المريض على السواء، وإثراء للمهنة على تعاقب الأجيال.

والأطباء فيما بينهم متكافلون كذلك على رعاية بعضهم بعضاً إذا مرض أحدهم أو أي من أفراد أسرته أو إذا نزلت به شدة أو محنة أو عجز أو وفاة.

ثانياً: صلة الطبيب بالمريض:

من أجل المريض كان الطبيب وليس العكس.. فالشفاء غاية والطب وسيلة. والمريض مخدوم والطب خادم... فأقدر القوم بأضعفهم كما قال الرسول الكريم، وينبغى أن تطوع الأنظمة والأوقات والخدمات والجهود بوحي من صالح المريض وراحته وما يعود عليه بالشفاء وليس لغير ذلك من الاعتبارات.

للمريض هذه الأهمية والمكانة بوصفه مريضاً وما دام فى حمى مرضه، لا من أجل جاه أو سلطان أو قربى أو منفعة.. وسلوك الطبيب مع مرضاه دليل على أخلاقه وشخصيته.

وتتسع دائرة البر والرحمة والسماحة وسعة الصدر وطول الأناة من الطبيب، لتشمل مع المريض أهله وذويه فى اهتمامهم له وخوفهم عليه وجزعهم من أجله وسؤالهم عنه فى غير إخلال بقدسية سر المهنة.

والصحة ضرورة إنسانية وحاجة أساسية وليست ترفاً أو كمالاً... لذا كانت مهنة العلاج هي المهنة الوحيدة التي لا يرد قاصدها ولو لم يملك الأجر.. وعلى التشريع الطبي أن يكفل الرعاية الطبية لكل من يحتاجها عن طريق أي تنظيمات أو تشريعات تفي بذلك.

والطبيب في التماسه الرزق الحلال يصون كرامته وشرف مهنته ويترفع عما يخدش ذلك من دعاية أو سمسرة أو ترويج أو غير ذلك مما يجافي شرف المهنة.

ثالثاً: المحافظة على سر المهنة:

حفظ أسرار الناس وستر عوراتهم واجب على كل مؤمن وهو على الأطباء أوجب... لأن الناس يكشفون لهم عن خباياهم ويودعونهم أسرارهم طواعية، مستندين على ركائز متينة من قدسية حفظ السر، اعتنقته المهنة منذ أقدم العصور.

وواجب الطبيب أن يصون أي معلومات وصلت إليه خلال مزاولة مهنته عن طريق السمع أو البصر أو الفؤاد أو الاستنتاج، وأن يحيطها بسياج كامل من الكتمان. وإن روح الإسلام توجب أن تتضمن القوانين تأكيد حماية حق المريض في أن يصون الطبيب سره الذي ائتمنه عليه. إذ انه ما لم يأمن المريض على ذلك فلن يفضي للطبيب بدقائق قد تحدد سير العلاج. فضلاً عن أن طوائف من المرضى ستضطر لعدم اللجوء إلى الأطباء.

رابعاً: حرمة الحياة الإنسانية:

لحياة الإنسان حرمتها، ولا يجوز إهدارها إلا في المواطن التي حددتها الشريعة الإسلامية، وهذه المواطن خارج نطاق المهنة الطبية تماماً.

ويحرم على الطبيب أن يهدر الحياة ولو بدافع الشفقة... فهذا حرام لأنه خارج عما نص عليه الشرع من موجبات القتل.

والتخلص من الحياة أو التخليص منها بدعوى الألم الشديد في الأمراض الميئوس من شفائها دعوة لا تجد سنداً إلا فى المنطق الإلحادي، الذي يرى أن ما الحياة هي إلا حياتنا الدنيا.

... ولو صح هذا المنطق لربما كان أغلب الناس يفضلون الانتحار تخلصاً من آلام الحياة ومتاعبها، وأي حياة تخلو من الآلام، أما التخلص من الألم: فلا يوجد حتى في أقسى الأمراض ألم لا يمكن التغلب عليه إما بالدواء وإما بالجراحة العصبية.

وأما قتل المشوهين أو غيرهم، فهذا إن أبيح فهو أول الغيث، وسيتلوه حتماً قتل العجزة والمسنين الذين لا ينتجون وإنما يستهلكون طعاماً وشراباً في عالم عمت الشكوى أنه يضيق بسكانه، وأن القيام برعايتهم هو ابتلاء لأهلهم وللمجتمع عامة، ولكن حياة الإنسان محترمة في أدوارها كافة... وتنسدل هذه الحرمة على الحياة الجينية في رحم الأم... فلا يجوز للطبيب أن يهدر حياة الجنين إلا عند الضرورة الطبية القصوى التي تعتبرها الشريعة الإسلامية.

أما الدعوى الحديثة بالترخيص فى إباحة الإجهاض، فلا يقرها الإسلام فعلى إسقاط الجنين في الإسلام عقوبة مالية هي الغرة، وللجنين حقوق فى تركة أبيه أو أحد مورثيه كما أنه إذا حكم الحامل بالإعدام أُجِّل التنفيذ حتى تضع، إقراراً بحق الجنين فى الحياة حتى لو كان جنين سفاح وكل ذلك يؤكد الحق الأصيل، وهو حق الحياة.

والطبيب وهو صاحب الكلمة فى أن مريضه مات أو لا يزال حياً، يقدر مسؤولية هذه الكلمة ولا تصدر عنه إلا بعد اليقين العلمي الممكن وفي أمانة كاملة لا تشوبها شائبة. وله أن يستشير إن غم عليه، ويستعين بالمتاح له من وسائل العلم.

وعلى الطبيب أن يصارح المريض بعلته إن طلب المريض ذلك، وعليه أن يختار طريقة التعبير المناسبة، فيخاطب كلاً على قدر شخصيته، ويدرس لذلك مريضه دراسة تدله على

التعبير المطلوب، وليتلطف، وليعمل على إذكاء إيمان المريض وإنزال السكينة في نفسه، وتوثيق رباطه بالله ثقة يهون بها ما سواه.

خامساً: الطبيب والمجتمع:

الطبيب عضو حي في مجتمع يتفاعل معه ويؤثر فيه ويهتم بأموره. إعمالاً للحديث الشريف «الدين النصيحة لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم»[1].

واجب الطبيب لا يقتصر على علاج المرض فحسب، وإنما اتخاذ أسباب الوقاية... وعلى المهنة إذاً أن تهتم بمكافحة العادات التي تؤدي إلى الضرر: كالخمر والتدخين وعدم النظافة، وأن تطالب بالتشريعات اللازمة لذلك بجانب الدعوة على أوسع نطاق. ويدخل فى ذلك نظافة البيئة ومنع تلوثها.

(١) رواه مسلم عن تميم الداري ﷺ وقد تقدم.